سلسلة التراجم الأندلسية
VII

التكملة لكتاب الصلة

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار

٥٩٥-٦٥٨هـ / ١١٩٩-١٢٦٠م

المجلد الأول

حققه، وضبط نصه، وعلق عليه

الدكتور بشار عواد معروف

الباحث الرئيس في عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية

دار الغرب الإسلامي

تونس

© دار الغرب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 2011م

دار الغرب الإسلامي

العنوان: ص.ب.: 200 تونس 1015

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.

التكملة لكتاب الصلة

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار

١

شكر وتقدير

لا بُد لي وقد أنهيتُ تحقيقَ هذا الكتاب في مُجلداته الأربعة أن أتقدَّمَ بجميلِ الشُّكر وعظيم الامتنانِ إلى مَعَالي رئيسِ الجامعةِ الأردنية الزاهرة وإلى عمادة البَحْث العِلْمي فيها لما تَوَفَّر لي من سُبُلٍ مفتوحةٍ لإنجاز هذا العَمَل على أَحْسَنِ مَوْفر، دعماً للبحث العلمي الأصيل وأدواته، ونهوضاً منهم بالجامعة لتكون في طَلِيعةِ الجامعات المَعْنية بالبَحْث العلمي الرصين وتطويره.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ لله نَحْمدُه ونَسْتَعينُهُ ونَسْتَغْفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، مَن يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ إمامَنا وسيِّدَنا وحَبيبَنا وشَفيعَنا وأُسوتَنا محمداً عبدُهُ ورسولُه، بعثَهُ اللهُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فهذا كتابُ «التكملة لكتاب الصِّلة» لحافظ الديار الأندلسية وعالمها التَّراجمِيّ في عَصْره أبي عبد الله ابن الأبّار، أقدّمه لمحبي التراث العربي عموماً والأندلسي خصوصاً بعد أن استقصيتُ سَبْر أصوله، وطويت عليه نِيّتي، فما صَدَّتني عن إتمامه العوائقُ، ولا لَوَتني الموانعُ، حتى ظهرَ بهذه الهيئة العلميةِ الرائقةِ التي استحقَ فيها أن يتبوَّأ الإصدار السَّابع من «سلسلة التراجم الأندَلُسية» التي طالما تَشَوَّف إلى إنجازها صديقي الفاضل العالم الحاج حبيب اللَّمْسي، جعل الله التقوى زادَهُ وعتاده، ووفقه لما سَمَت همتُه إليه.

ابن الأبـار:

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القُضاعي المعروف بابن الأَبّار (٥٩٥-٦٥٨هـ) من أبرز رجالات الأندلس في زمانه توسعاً في المعارف وافتناناً، فهو محدثٌ ضابطٌ عدل ثقة، وهو مؤرخ بارع لا سيما في علم التراجم، ومستبحرٌ في علوم اللسان نحواً ولغةً وأدباً، وكاتب بليغ، وشاعر مُجيد، ترك جملةً وافرةً من المؤلفات أرْبَت على الخمسين مؤلفاً، احتلت منزلةً مرموقةً بين مؤلفات أهل العصر، وصارَ الكثيرُ منها مَعِيناً لمن جاءَ بعدَهُ.

موارد ترجمته:

ولأجل هذه المنزلة المرموقة عُني بالكتابة عنه جملةٌ غفيرةٌ من القُدماء والـمُحْدَثين، منهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥هـ)[١]، وعزُّ الدين أحمد بن محمد الـحُسَيْني (ت ٦٩٥هـ)[٢]، ومحمد بن محمد بن عبد الملك المراكُشي (ت ٧٠٣هـ)[٣]، وأحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزُّبير (ت ٧٠٨هـ)[٤]، وأبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت ٧١٤)[٥]، وأبو عبد الله الذَّهَبي (ت ٧٤٨هـ)[٦]، وصلاح الدين الصَّفَدي (ت ٧٦٤هـ)[٧]، وابن شاكر الكُتُبي

---

(١) في كتابه: القدح المعلى ١٩٢-١٩٥، الترجمة ٥٨، وكتابه: المغرب في حلى المغرب ٢/ ٣٠٩، وكتابه: رايات المبرزين ٨١.

(٢) في صلة التكملة لوفيات النقلة ١/ ٤٢٣، الترجمة ٤٢٣.

(٣) في الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٣-٢٧٥.

(٤) في صلة الصلة، ولم يصل إلينا هذا القسم لكن نقل منه الذهبي في كتبه، والحسامي الدمياطي في زياداته على وفيات الحسيني.

(٥) في عنوان الدراية ٣٠٩-٣١٣، الترجمة ٩٥.

(٦) في كتبه: تاريخ الإسلام ١٤/ ٨٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٣٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٥٢، والعبر ٥/ ٢٤٩، وغيرها.

(٧) في الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٥-٣٥٨، الترجمة ١٤٣٦.

(ت ٧٦٤هـ)[١]، وعبد الله بن أسعد اليافِعي (ت ٧٦٨هـ) [٢]، وابن خَلْدون (ت ٨٠٨هـ)[٣]، وابن قُنْفذ القُسَنْطِيني (ت ٨١٠هـ)[٤]، وابن تَغْري بَرْدِي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) [٥]، ومحمد بن إبراهيم بن لؤلؤ الزَّركشي (ت ٩٣٢هـ)[٦]، والمَقَّري (ت ١٠٤١هـ)[٧]، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)[٨].

أما المُحْدَثون فكانت عنايتهم به أكبر لإدراكهم أهمية ما خَلّفه من تراث أضاءَ التاريخ الثقافيَّ لبلاد الأندَلُس، فكتبَ عنه من كبار المُسْتشرقينَ: رينهارت دُوزي[٩]، وماركوس جوزيف مُولَر[١٠]، وكُوْديرا[١١]، وفِسْتِنْفِلد[١٢]، وبونس بُويْجِس[١٣]، وكارل بروكلمان[١٤]، وكِلِيمان هَوَار[١٥].

---

(١) في فوات الوفيات ٣/ ٤٠٤-٤٠٧، الترجمة ٤٧١، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٤٥.

(٢) في مرآة الجنان ٤/ ١٥٠.

(٣) في العبر ٦/ ٢٨٣-٢٨٥.

(٤) في وفياته (وفيات ٦٥٨).

(٥) في النجوم الزاهرة ٧/ ٩٢.

(٦) في تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ٢٠-٢٧.

(٧) في أزهار الرياض ٣/ ٢٠٤ فما بعد، وهي ترجمة موسعة، ونفح الطيب ٢/ ٥٨٩-٥٩٤.

(٨) شذرات الذهب ٥/ ٢٧٥.

(٩) في كتابه Introduction au Bayan al-Moghrib, Leyden, 1848.

(١٠) Beiträ ge zur Geschichte der Westlichen Araber, Munchen, 1866.

(١١) في مقدمة ما نشره من «التكملة» و«المعجم في أصحاب القاضي الصدفي».

(١٢) Die Geschichtschreiber der Araber und ihre werke, Göttingen, 1882.

(١٣) Ensayo bio-bibliografico sobre los Historiadores Geografos arabigo-espanoles, Madrid, 1898.

(١٤) في كتابه تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) وترجم إلى العربية.

(١٥) تاريخ الأدب العربي، ص٢٠٤.

وكتب عنه من العرب: محمد بن شَنَب[1]، وجُرجي زَيْدان[2]، والدكتور صالح الأشْتَر[3]، والدكتور حُسين مُؤنس[4]، والدكتور عز الدين موسى[5].

وكُتبت عن ابن الأبار دراستان مُفَصَّلتان نسبياً، أولاهما كتبها الدكتور عبد العزيز عبد المجيد، نُشِرت بتطوان سنة ١٩٥١م، ونالت جائزة مولاي الحَسَن لسنة ١٩٥١م درس فيها عصره وشخصيته ومؤلفاته. وثانيتهما رسالة دكتوراه للدكتور أنيس عبد الله الطباع تقدم بها لجامعة مدريد سنة ١٩٥٩م، ثم ترجمها إلى العربية ونُشِرت ببيروت، وفيما يأتي ترجمة موجزة حاولنا فيها إضاءة أبرز جوانب حياته ومنزلته العلمية.

الأسرة:

أصل عائلة ابن الأبار من مدينة أُنْدَه Onda، وهي مدينة صغيرة من عمل بَلَنْسِيَة، وهي دارُ القُضَاعيِّينَ بشرقِ الأندَلُس[6]، وبها وُلِدَ والدُه عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القُضاعي سنة ٥٧١هـ[7]، وهي اليوم مدينة صغيرة في مديرية قَسْطليون، وتقع على عشرين كيلو متراً غربي قَسْطليون قاعدة المديرية[8].

وتحوَّلَ الوالدُ في وقتٍ ما من حياته إلى بَلَنسِيَة فاتّخذها سَكَناً، ومن ثم نُسب ابن الأبار فيما بعد إليها، وقد ترجم ابن الأبار لوالده في «التكملة» فقال: «عبد الله بن أبي بكر ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القُضاعيُّ، والدي، رحمه الله، من أهل أُنْدَة، وسكنَ بَلَنْسية، يُكْنَى أبا محمد. أخذَ القراءات عن الأُستاذ أبي جعفر الحَصَّار،

---

(١) في دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) في كتابه «تاريخ الأدب العربي» ٣/ ٨٤.

(٣) في مقدمة تحقيقه لكتاب «إعتاب الكتاب» ١٩٦١م.

(٤) في مقدمة تحقيقه لكتاب «الحلة السيراء» ١٩٦٣م.

(٥) في مقدمة تحقيقه لكتاب «درر السمط».

(٦) ابن الأبار: التكملة، الترجمة (٣٧٥) و(٢٠٣٧).

(٧) التكملة، الترجمة (٢١٥٦).

(٨) حسين مؤنس: مقدمة الحلة السيراء ١/ ١٤ (ط٢، القاهرة ١٩٨٥).

وأجازَ له، وسَمِعَ من أبي عبد الله بن نُوح، وأبي بكر بن قَنْترال، وأبي عبد الله بن نَسَع، وأبي عليّ بن زُلال، وصَحِبَ أبا محمد بن سالم الزاهد المعروف بالسَّبَطَيْر، وكتبَ إليه القاضي أبو بكر بن أبي جَمْرة يجيزُ له ولي معه جميع روايته مَرَّتين. وكان رحمه الله، ولا أزكيه، مُقْبلاً على ما يَعْنيه شديدَ الأنقباض بعيداً عن التَّصَنُّع، حريصاً على التَّخَلُّص، مُقَدَّماً في حَمَلةِ القرآن، كثيرَ التِّلاوة له والتَّهَجُّد به، صاحبَ وِرْدٍ لا يكادُ يهملُه، ذاكراً للقراءات، مُشاركاً في حِفْظِ المَسَائلِ، آخذاً فيما يُسْتَحْسَنُ من الآداب، مُعَدَّلاً عند الحُكَّام. وكان القاضي أبو الحَسَن بن واجِب يستخلفُهُ على الصَّلاة بمسجِدِ السَّيِّدة من داخل بَلَنْسِيَة... حدثني أبي، رحمه الله، غير مرة أَنَّهُ وُلد بأُنْدَة سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، وتُوفِّي بمدينة بَلَنْسِيَة وأنا حينئذٍ بثغر بَطَلْيَوس عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة تسعَ عشْرةَ وست مئة، ودُفن لصلاة العَصْر من يوم الأربعاء بعده بمقبُرة باب بَيْطالةَ وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وحضر غَسْلَه أبو الحَسَن ابن واجبٍ وجماعةٌ معه، وكانت جَنازتُه مشهودةً والثناءُ عليه جميلاً، نفعَهُ الله بذلك[1]».

وذكر ابنُ عبد الملك أنَّ أبا محمد هذا كان صنيعةَ أبي الرَّبيع بن سالم، شديدَ الاختصاص به، متصرِّفاً له في الوكالة عنه[2].

ومما تقدَّم يتبيَّنُ أنَّ والدَهُ كان رجلاً متديِّناً مستورَ الحال، وأنه كان يتعيّشُ من عَمَله معَ أبي الربيع بن سالم، ولم يكن من عائلةٍ علمية معروفةٍ، ولا من أهلِ الثَّروة والجاه.

مولده:

وفي ترجمة والده قيّد ابن الأبار مولده، فقال: «مولدي عند صلاة الغداة من يوم الجُمُعة في أحد شهري ربيع سنة خمس وتسعين وخمس مئة»[3]، فلم يضبط في أي شَهْري ربيع كان مولده.

---

(١) التكملة، الترجمة (٢١٥٦).

(٢) ابن عبد الملك: الذيل ٤/ ١٨٠.

(٣) التكملة، الترجمة (٢١٥٦).

دراساته:

وعلى عادة مَن يَعْتَني بأولادِه ويرجو لهم التَّوجهَ نحو العلم، فقد استجازَ له والدُه، وهو لـمّا يَزَل طفلاً لا يفقه، بعضَ كِبار العُلماء، وأعلاهم في ذلك هو أبو بكر ابن أبي جَمْرة المتوفَّى في سَلْخ الـمُحرم سنة ٥٩٩هـ، قال المؤلف في ترجمته: «كتبَ إلى والدي عبد الله بن أبي بكر وإليَّ بالإجازة العامة مرتين: إحداهما في غُرّة رَجَب عام سبعة وتسعين وخمس مئة، والثانية في منتصف ذي قَعْدة من العام المذكور وأنا إذ ذاك ابن عامين وشهور، وهو أعلى شيوخي الأندَلُسيين إسناداً»[١].

وقد تلا أبو عبد الله على أبيه القُرآنَ الكريم بقراءة نافع مِراراً، وسَمِعَ منه أخباراً وأشعاراً. والظاهرُ أنَّ الأبَ لم يكن من أهلِ العناية بالرِّواية، لكنه شدا شيئاً من المعارف الضرورية، ومن ثم تركّزت عنايتُه بابنه على تَتَبُّعِ دارستِهِ على شيوخ العصر فيُسَمّع له ويمتحن حِفْظه[٢].

وقد ساقَ ابنُ عبد الملك أكثرَ شيوخِه باختصار، معَ أنَّ المؤلِّف ذكرهم جميعَهُم بتفصيلٍ في مواضع تراجِمِهم من «التكمِلة»، وهم في كلِّ حال قد تضمَّنتْهم «مشيختُه» أو «معجَمُ شيوخِه» الذي لا نَدْري فيما إذا كانَ ابنُ عبد الملك قد اطَّلَعَ عليه أو أنه استخلصَ قائمةَ شيوخه من «التكملة».

ذكر ابنُ عبد الملك[٣] أنّ أبا عبد الله ابن الأبّار روى قراءةً وسماعاً عن أبي بكر محمد بن مُحْرِز وأكثرَ عنه، وعن أبي جعفر أحمد بن عليّ بن يحيى بن عَوْن الله الأنصاريِّ المعروف بابنِ الـحَصّار آخرِ المقرئينَ بشرق الأندَلُس، وتلا عليه بالسَّبْع وبقراءة يعقوب، وأجازَ له[٤]، وأبي جعفر بن يوسُف ابن الدّلّال، وأبي حامد محمد

---

(١) التكملة ٢/ ٢٦٢ وأعاد ذلك في ترجمة والده ٣/ ٩٥.

(٢) التكملة ٣/ ٩٥.

(٣) الذيل ٦/ ٢٥٣ فما بعد.

(٤) وتنظر التكملة (٢٦٠).

ابن محمد بن أبي زاهِر، وأبي الـحَجّاج بن محمد القُضَاعي قريبه، وأبي الخطّاب أحمد ابن محمد بن واجِب «حامل رايةِ الرواية بشرق الأندَلُس وآخرِ المحدِّثين المسنِدين»، ورُزق منه قَبولاً وبه اختصاصاً، فمعظمُ روايته القديمة عنه، وأجاز له غيرَ مرّة خطّاً ولفظاً[1]، وأبي الـحَسَن بن عبد الله بن قُطْرال، وأبي الـحُسَين أحمد بن محمد بن السَّرَّاج، وأبي سُليمان داودَ بن سُليمان بن حَوْطِ الله، وأبي عبد الله محمد بن أيوبَ بن نُوح الغافِقي، وأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سَعادة، وأبي عامر نَذيرِ بن وَهْب وأكثَرَ عنه، وأبي العبّاس بن عبد المؤمن الشَّرِيشي، وأبي عليّ الـحَسَن بن محمد الشّعّار، وأبي عليّ الـحُسَين بن يوسُف بن زُلال، وأبي القاسم أحمد بن حَسّان، وأبي القاسم عبد الرحيم بن أحمد بن عُلَيم، وغيرِهم.

وقد ذكَرَ ابنُ عبد الملك أسماءَ أكثرَ من تسعينَ شيخاً مـمّن روى عنهم، كما ذكر مَن كتَبَ إليه مُـجيزاً ممن لم يلقَهُم جماعةً من أهل الأندَلُس وما صاقَبَها من بَرِّ العُدوة زادوا على العشرينَ شيخاً، فضلاً عن قُرابة العشرين شيخاً من أهل المشرِق وبعضُهم من أهل الأندَلُس المستوطنينَ هناك.

على أنَّ أكثر شيوخه تأثيراً فيه هو أبو الرَّبيع سُليمان بن موسى بن سالم الكَلاعي (٥٦٥-٦٣٤هـ) الذي كان والدُه وكيلاً عنه، وصاحبَهُ هو أكثرَ من عشرينَ عاماً[2]، قال ابنُ الأبّار بعدَ أن ذكر جُملةَ شيوخِه: «عُني أتمَّ العناية بالتقييد والرِّواية، وكان إماماً في صناعة الحديث، بصيراً به، عارفاً بالـجَرْح والتعديل، ذاكراً للمواليد والوَفَيات، يتقدَّم أهلَ زمانه في ذلك وفي حفظِ أسماءِ الرجال، وخصوصاً مَن تأخَّر زمانُه أو عاصَرَه. وكتَبَ الكثير، وكان حسَنَ الخطِّ لا نظيرَ له، نهايةً في الإتقان والضّبط، مع الاستبحار في الآداب والاشتهار بالبلاغة والفصاحة، فرداً في إنشاء الرسائل، مُـجِيداً في نَظْم القَريض، خطيباً فصيحاً، مُفوَّهاً مدرِكاً، حسَنَ

(١) التكملة (٢٧٥).

(٢) ابن عبد الملك: الذيل ٦/ ٢٥٣.

السَّردِ والمساق لِما يَحكيه ويحدِّثُ به، يوَدُّ سامعُهُ لو وصَلَ حديثَه ولم يقطَعْه، معَ الشارة الأنيقة، والزِّي الحَسَن، والهيئة الجميلة، وهو كان المتكلِّمَ عن الملوك في مجالسهم والمبيِّنَ عنهم لما يُريدونَه على المِنبر في المحافل. ووَلِي الخُطبة بالمسجد الجامع ببلَنْسِيَة في أوقات. وكان رئيساً في الحديث والكتابة، وله تصانيفُ وتواليفُ مُفيدة شهيرة في فنون شَتَّى»، وأحصَى له ثلاثةً وعشرين كتاباً، ثم قال: «صحِبتُه طويلاً وأخذتُ عنه كثيراً وأجاز لي غيرَ مرّة جميعَ ما رواه وجمَعَه وأنشأه خطّاً ولفظاً، وسمعتُ منه جُلَّ روايته بينَ قراءةٍ عليه وسماع بلفظِه، وانتفعتُ به في صناعة الحديث كلَّ الانتفاع، وأفادني ما لم يُفِدْ أحداً ممّا كان عندَه من الغرائب، وأنشَدَني منظومَه إلا أقلَّه»[1]، وسيأتي أنّه هو الذي حَضَّهُ على تأليف هذا الكتاب.

مؤلفاته:

وعُني ابنُ الأبار بالتأليف ورُزق سعادةً في ذلك، فألَّف في فنون متعدِّدة قُرابةَ الخمسينَ تصنيفاً، وقد أحصَى ابنُ عبد الملك أسماء أكثرِ مؤلَّفاتِه فذكَرَ منها[2]:

١ ـ المورِدِ السَّلْسَل في حديث الرحمة المُسَلْسَل[3].

٢ ـ المأخَذ الصّالح في حديث معاويةَ بن صالح[4].

٣ ـ أربعونَ حديثاً، عن أربعينَ شيخاً، من أربعينَ مصنَّفاً، لأربعينَ عالماً، من أربعينَ طريقاً، إلى أربعينَ تابعاً، عن أربعينَ صاحباً، بأربعينَ اسماً، من أربعينَ قبيلاً، في أربعينَ باباً[5].

---

(١) التكملة (٣١٦٢).

(٢) الذيل ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) هو حديث «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وهو مسلسل بأنه أول حديث يسمعه الراوي من شيخه، وهو مما نرويه، بحمد الله ومنه، عن جملة من مشايخنا الأجلاء.

(٤) هو معاوية بن صالح بن حُدير الحضرمي قاضي الأندلس المتوفى سنة ١٥٨هـ وهو من رجال مسلم.

(٥) هذا يدل على سعة اطلاع عجيب، ولذلك قال ابن عبد الملك: «أبدى به اقتداره مع ضيق مجاله عن ما عجز عنه الملاحي من ذلك».

٤ ـ الاستدراك على أبي محمد القُرطُبي[١] ما أغفَلَه من طُرق رواياتِ الموطَّأ.

٥ ـ مختصَر أحكام ابن أبي زَمَنين[٢] في الفقه.

٦ ـ قصْدُ السَّبيل وورِودُ السَّلسبيل، في المواعظِ والزهد، وهو في أربعةِ مجلَّدات.

٧ ـ التكمِلة لكتاب الصِّلة، وهو هذا الكتاب.

٨ ـ الإيماء إلى المُنجبينَ من العلماء.

٩ ـ الشفاء في تمييز الثِّقات من الضُّعفاء.

١٠ ـ هدايةُ المعتسِف في المؤتلِف والمختلِف[٣].

١١ ـ معجَم أصحاب أبي عُمرَ بن عبد البَرّ[٤].

١٢ ـ معجَم أصحاب أبي عَمْرو المقرئ[٥].

١٣ ـ معجَم أصحاب أبي عليّ الغَسّاني[٦].

١٤ ـ معجَم أصحاب أبي داودَ الـهِشامي[٧].

١٥ ـ معجَم أصحاب أبي عليّ الصَّدَفي[٨].

---

(١) توفي سنة ٦١١هـ، وهو مترجم في التكملة ٣/ ٩٠، وقال: «ولم أقف من مجموعاته إلا على تلخيص أسانيد الموطأ من رواية يحيى بن يحيى، وهما مما دل على سعة حفظه وحسن ضبطه، وقد استدركت عليه مثله أو قريباً منه» وتنظر التكملة ١/ ٤٤٥ و٣/ ٢٤.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري المعروف بابن أبي زمنين المتوفى سنة ٣٩٩هـ وهو مترجم في الصلة البشكوالية (١٠٤٧).

(٣) وتنظر التكملة ١/ ٩٣، وذكر ابن عبد الملك أن «الإيماء» و«الشفاء» و«الهداية» مقصورة على أهل الأندلس.

(٤) صاحب «التمهيد» و«الاستذكار» و«الاستيعاب» وغيرها والمتوفى سنة ٤٦٣هـ.

(٥) هو المعروف بالداني المقرئ المشهور المتوفى سنة ٤٤٤هـ.

(٦) الحسين بن محمد بن أحمد، أبو علي الغساني المعروف بالجياني المتوفى سنة ٤٩٨هـ. (الصلة، الترجمة ٣٢٩ وتعليقنا عليها).

(٧) هو سليمان بن أبي القاسم نجاح، مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله، من ساكني دانية وبلنسية، والمتوفى ببلنسية سنة ٤٩٦هـ (الصلة، الترجمة ٤٥٧، وتعليقنا عليها).

(٨) طبع تحقيقنا، وهو الإصدار الثامن من سلسلة التراجم الأندلسية، دار الغرب، تونس ٢٠١١م.

١٦ـ معجَم أصحاب أبي بكرٍ ابن العَرَبي[١].

١٧ـ معجَم شيوخ أبي الـحُسَين أحمدَ بن محمد ابن السَّرَّاج[٢].

١٨ـ معجَم شيوخِه[٣].

١٩ـ برنامَج رواياتِه.

٢٠ـ إعتابُ الكُتَّاب، حقَّقه الدكتور صالح الأشْتَر، ونشر سنة ١٩٦١م.

٢١ـ إعصار الهبوب في ذكر الوطن المحبوب.

٢٢ـ الوَشْي القَيْسي في اختصار الفتح القَسِّي.

٢٣ـ قِطَع الرِّياض في بِدَع الأغراض. مجلّدانِ ضخمان.

٢٤ـ الانتداب للتنبيه على زَهْر الآداب.

٢٥ـ الـحُلَّة السِّيَراء في شُعراءِ الأُمراء. حقَّقه الدكتور حسين مؤنس، ونشر بالقاهرة في طبعته الأولى سنة ١٩٦٣م، ثم في طبعته الثانية سنة ١٩٨٥م.

٢٦ـ خضراءُ السُّندس في شُعراءِ الأندَلُس[٤]. من أوّل فَتْحها إلى آخرِ عُمرِه.

٢٧ـ إيماضُ البرق في شعراءِ الشّرق.

٢٨ـ تحفةُ القادم. وهو كتابٌ عارض به «زادَ المسافر»، لأبي بحرٍ صَفْوانَ بن إدريس التُّجيبي الـمُرْسِي (ت ٥٩٨هـ). وقد وصل إلينا المقتضَب منه، نشر أكثر من مرة، وأفضلها طبعة صديقنا الدكتور إحسان عباس يرحمه الله (دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦م).

٢٩ـ دُرَرُ السِّمط في خبر السِّبط. حققه صديقنا الدكتور عز الدين موسى.

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي المعافري الإمام المستبحر الكبير المتوفى سنة ٥٤٣هـ (الصلة الترجمة ١٢٩٧ وتعليقنا عليها)، وتنظر التكملة ١/ ١٣٢، ٣١٠ و٢/ ١٤٤، ٤٣٠ و٣/ ٤١.

(٢) توفي سنة ٦٥٧هـ (تاريخ الإسلام للذهبي ١٤/ ٨٥٩).

(٣) وذكره في التكملة ٣/ ١٢٦ و٢٢١، وذكر في موضع آخر أنه يشمل الشيوخ بالسماع والإجازة (التكملة ١/ ٢٣٣، الترجمة ٣١١).

(٤) وذكره في ترجمة أحمد بن يوسف بن هارون الرمادي من التكملة ١/ ٧٦.

٣٠ـ معدِن اللُّجين في مراثي الحُسين[١].

٣١ـ إحضار المرهج في مضمارِ الـمُبهِج. وهو على نحوِ كتاب أبي منصورٍ الثعالبي.

٣٢ـ مظاهرةُ المسعى الجميل ومحاضرةُ المرعَى الوبيل في معارضة مَلْقَى السبيل، على حروف المعجَم بنَظْم ما يُنثَر بعدَ نَثْرِ ما يُنظَم، و«مَلْقَى السبيل» لأبي العلاءِ الـمَعَري[٢].

٣٣ـ فُضالة العُباب ونُفاضة العياب. في نحو أُرجوزةِ ابن سِيده ومَن نَحى مَنْحاه فيما اسمك على حروف المعجم.

٣٤ـ ديوانُ شعره. وقد طبع، وهو على حروف المعجم.

٣٥ـ مجموع رسائله.

٣٦ـ إفادة الوِفادة[٣].

تلامذته:

وحين علا نجمُه في دنيا العلوم قصَدَه طلَبةُ العلم من كلِّ حَدْب وصَوب، فروى عنه الـجَمُّ الغفير، واستُجيز من البلاد الدانية والقاصية شرقاً وغرباً، وفيهم من هو أسنُّ منه، فمنهم: سالمٌ مولاه، وأبو الـحُسَين عيسى بن لُبّ بن دَيْسَم صِهرُه على ابنتِه، وأبو إسحاق بن أحمد بن إبراهيم بن بَيْطَش أخو أبي بكر بن أحمد ابن سيِّد الناس اليَعمُري لأُمِّه، وأبو إسحاق بن عبد الرحمن بن عيّاش، وأبو بكر ابن سيِّد الناس المذكور، وأبو بكر بن عبد الله بن مطروح، وأبو الـحَجّاج بن أحمد بن حَكَم شيخُ ابن عبد الملك الـمَرّاكُشي، وأبو الـحَسَن بن إبراهيم بن محمد التَّجَاني التونُسي، وأبو الـحَسَن بن محمد بن رَزِين، وأبو الـحَكَم بن أبي محمد بن أبي نَصْر السَّهمي

---

(١) وذكره في ترجمة أبي حامد محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر المكتب البلنسي، فقال: «وسمع مني كتاب معدن اللجين في مراثي الحسين» من تأليفي ٢/ ٣٤٣.

(٢) من الجدير بالذكر أن لشيخه الأثير أبي الربيع الكلاعي «مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء المعري في ملقى السبيل»، ذكره هو في ترجمته (٣١٦٢).

(٣) لم يذكره ابن عبد الملك، وذكره هو في ترجمة إبراهيم بن أحمد الرياضي القيرواني من التكملة ١/ ٢٩٥، الترجمة ٤٥٤.

الفاسي، وأبو الحكم الـحَسَن بن عبد الرحمن بن عُذْرة، وأبو الـحَكَم ابن المجاهد، وآباءُ عبد الله: ابن أحمد بن سيِّد الناس، وابن أحمد ابن الـجَلَّاب، وابن صالح، وأبو عليّ الـحَسَن بن الـحَسَن بن منصور الـجَنْب، وأبو الفَضْل عيّاش بن عبد الرحمن بن عيّاش، وأبو محمد بن عبد الرحمن ابن بُرْطُلة، وأبو محمد بن محمد بن كثير، وأحمد بن يحيى ابن الشيخ، وعبد الرحمن بن محمد بن زيد، وغيرُهم[1].

منزلته العلمية:

وهكذا ظهرت منزلتُه العلميّةُ لتحتلَّ الصّدارة بين كبار العلماء في تلك الأعصُر، تآليفُ كثيرةٌ ماتعة، وأدبٌ رفيع، وتلامذةٌ كُثْر انتشروا في الآفاق، ولهذا وصَفَه مترجموه بما هو أهلُه من الأوصاف العلمية فقال ابنُ عبد الملك: «كان آخرَ رجال الأندَلُس براعةً وإتقاناً وتوسُّعاً بالمعارف وافتناناً، محدِّثاً مُكثراً، ضابطاً عَدْلاً ثقةً، ناقداً يَقِظاً، ذاكراً للتواريخ على تبايُن أغراضها، مستبحراً في علوم اللِّسان نحواً ولغةً وأدباً، كاتباً بليغاً، شاعراً مُفْلِقاً مُجيداً، عُني بالتأليف وبخت فيه، وأُعينَ عليه بوفور مادّتِه، وحُسن التهدِّي إلى سلوك جادّتِه، فصنَّفَ فيما كان ينتحلُه مصنَّفاتٍ بَرَّز في إجادتِها، وأعجزَ عن الوفاء بشكر إفادتها»[2].

وقال ابنُ الزُّبير: «محدِّثٌ بارعٌ حافل مُتْقن، وكاتبٌ بليغ، وأديبٌ حافل حافظ... وكان متفنِّناً متقدِّماً في الحديث والآداب، سَنِياً، متخلِّقاً، فاضلاً»[3].

وقال الإمامُ الذهبي «الإمامُ العلّامة البليغُ الحافظ المجوِّد المُقرئ، مجْدُ العلماء... كان بصيراً بالرجال المتأخِّرين، مؤرِّخاً، حُلوَ التترجُم، فصيحَ العبارة، وافر الحِشْمة، ظاهر التجمُّل، من بلغاءِ الكتَبَة»[4].

---

(١) ابن عبد الملك: الذيل ٦/ ٢٥٧

(٢) ابن عبد الملك: الذين ٦/ ٢٥٨.

(٣) نقله الذهبي في السير ٢٣/ ٣٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٣٧.

ومع كلِّ هذه المنزلة العلميّة الرفيعة فإنّ في سيرة هذا الرجل وشخصيتِه جوانبَ لا تَسُرُّ المُحبّ، فقد كان «ذا طبع قلق ونَفْس حائرة وقلبٍ ذي طِماح بعيد المطارح، فلم يَقَرَّ له حالٌ منذ أيفَعَ إلى أن مات، ولم يَسْعَدْ من حياته الطويلة إلا بفَترات قِصار معظمُها وهو دونَ الثلاثين، ثم ما زالت الخطوبُ تنزلُ بساحته وما زال يُعينُها على نفسه حتى تكدَّرت حياتُه ما بقي له من أيام العمر بعدَ ذلك، وانتهى به الأمرُ إلى مصرع فاجِع على يدِ من خَدَمَه وملأ الصّفحاتِ بمديحِه»[1].

كان طموحُ ابن الأبّار لا يقفُ عندَ حدّ في حبِّه للوظائف والتقرُّب من الحكام، أيِّ حكام، بكلِّ وسيلة، لينالَ الدُّنيا العريضة والجاهَ الذي كرّس حياتَه ومنزلتَه العلميّة ليصلَ إليه بكلِّ ممكنٍ وغير ممكن، ومنه كيْلُ المديح بلا حدود إلى أناسٍ لا يستحقّونَه. وبهذه الوسائل المُجافية لطبيعة فُضلاءِ العلماء استطاع أن يتوصَّل إلى مُرادِه، فصار من رجالاتِ بَلاط بَلَنْسِية، وكاتباً لأُمراءِ هذا البلد، ممّن لم يستحقوا لقبَ الإمارة.

وفي الوقتِ الذي كان فيه العلماءُ العاملونَ يتهرَّبونَ من الوظائف السُّلطانية، وربّما هجَروا بُلدانَهم أو اختَفَوا لمدّة من أجل الابتعاد عن تولِّي وظيفة، كما هي حالُ أبي عليٍّ الصَّدفي[2] وغيره، نجد ابن الأبّار يسعى إليها السعيَ الحثيث.

وفي الوقت الذي وجَدْنا فيه العلماءَ العاملينَ وقد تقدَّمت بهم السِّنُّ، يتلَهَّفونَ إلى جهاد العدوِّ الساعي إلى احتلال بلاد الإسلام، فيخرُجونَ مع المُطَّوِّعة يجاهدونَ بأنفسهم فيَقتُلُون ويُقْتَلون، نشاهدُ ابنَ الأبّار بمعيّة الأُمراءِ الخَوَنة الذين يستصرِخون النَّصارى على من عاداهم من المسلمين.

وجَدْنا أبا عمر أحمد بن هارون ابن عاتٍ النَّفْزي أحدَ حُفّاظ الحديث وقد جاوز الخمسينَ يتوجَّه غازياً فيُستشهَد في وَقْعة العِقاب سنة ٦٠٩هـ[3]، وأبا القاسم

---

(١) من مقدمة الدكتور حسين مؤنس لكتاب الحلة السيراء ١/ ٧.

(٢) تنظر مقدمتنا لكتاب «المعجم»، والصلة البشكوالية (٣٣٠).

(٣) التكملة (٢٦١)، وفي هذه الوقعة استشهد العديد من العلماء الأعلام.

أحمد بن محمد بن إسماعيل الطَّرْسُوني المُرْسِي يشترك في وقعة بنوط من أعمال مُرْسِيَة فيُستشهَدُ فيها أيضاً سنة ٦٢٢هـ مُقبلاً غيرَ مُدبر وقد تجاوز الستينَ من عمره[١]، وهذا أبو علي الصَّدفي يخرُجُ مجاهداً وهو في الستينَ من عمره فيُستشهَدُ في وقعةِ كُتَنْدة سنة ٥١٤هـ[٢]. وهذا شيخُه أبو الرَّبيع الكَلاعي يخرُجُ إلى وقعة أَنِيشَة قرب بَلَنْسِيَة يحملُ رايةَ الإسلام وهو في السبعينَ من عمره، فلمّا بدأ المسلمونَ بالهزيمة كان يُقاتل ويُنادي المنهزِمينَ: أعنِ الـجَنّة تفِرُّون؟ ثم يُستشهَدُ مُقبلاً غيرَ مُدبر في عشرينَ ذي الحجة من سنة ٦٣٤هـ[٣]!.

ولم نسمَعْ عن ابن الأبّار أنه خرَج لجهادِ العدوِّ في أيِّ وقعة من وقائعِه، بل وجَدْناه يصاحبُ الأُمراءَ المستعينينَ بالنَّصارى ويكتُبُ لهم، ففي سنة ٦٠٧هـ أقام محمدٌ الناصر أبا عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن والياً على بَلَنْسِيَة ثم خَلَفَه عليها ابنُه أبو زيد عبد الرحمن، وقد كتَبَ ابنُ الأبّار لهما[٤]. وكان أبو زيد هذا قد استعان بالنّصارى للإمساك بناحيته، وبقِيَ حاكماً لبَلَنْسِيَة إلى سنة ٦٢٦هـ[٥] يدفَعُ الإتاوة إليهم، وبفضلِهم استطاع التغلُّب على بني مردانيش، فاكتفَى أكبرُهم أبو الـحَمَلات مُدافعُ بن أبي الـحَجّاج يوسُفُ بن سَعْد بن مَرْدانيش بحصنِ أُبَدة، وقد استُشهد في بعض المواقع شابّاً، فخَلَفَه ابنُه أبو جميل زيّانُ بن أبي الـحَمَلات وضَيَّق على أبي زيد عبد الرحمن في بَلَنْسِيَة، فالتجأ إلى النّصارى وملِكِهم خايمة الأوّل صاحب أرغون، وذهب إليه ليفاوضَه في معاونته، وخرَجَ معه ابنُ الأبّار، ولكنّ خايمة لم يجدْ فيه ما يستحق العناء، فقبلَ أبو زيد أن ينتقلَ إلى بعض حصون النّصارى

---

(١) التكملة (٢٨٥).

(٢) الصلة (٣٣٠).

(٣) التكملة (٣١٦٢).

(٤) المقرى: أزهار الرياض ٣/ ٢٠٤-٢٠٦.

(٥) ابن خلدون: العبر ٦/ ٢٥٢.